

AL-SANUSI

AL-NUR AL-LAMI'

$$\begin{array}{r} 2274 \\ - 817 \\ \hline 368 \end{array}$$

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
DOE JAN 15 1983			
CARREL USE 1981-1982			
CARREL USE 1982-1983			
JAN 31 1983			
JAN 31 1983			

Princeton University Library



32101 080197823

كتاب

النور اللامع

في بيان الاصل الجامع

للفقيه اليه تعالى

ابراهيم بن ادريس السنوسي الفاسي

طبع باشراف

صلاح الدين الكيلاني (أبو كمال)

بأمر من سيده

al-Sanūsī, Ibrāhīm ibn Idrīs

al-Nūr al-Lāmi'

كتاب

النور اللامع في بيان الاصل الجامع

للفقيه اليه تعالى

ابراهيم بن ادريس السنوسي الفاسي

طبع باشراف
صلاح الدين الكيلاني (أبو كمال)
بأمر من سيده

تمت النسخة ١٠٠ ق.س

(RECAP)

2274

817

.368

بسم الله

و الحمد لله رب العالمين

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فتح أعين بصائر المؤمنين من عباده وهداهم بنور معرفته لسلوك طرق رضاء ورشاده .

نحمده من إله خلق العوالم على أجمال ابتداء وأتم انتظام وجعل الدين عنده دين الاسلام وأمر بالاتحاد والتعاون والتناصر والالتحام .
قال تعالى خطاباً لأهل الايمان .

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ .

والصلوة والسلام على من خلقت الالكوان لأجله ووجب اتباع قوله والاقتداء بفعله الذي أمرته ان يكون بعضهم لبعض على حفظ الدين وصيانته انصاراً وأعواناً .
فقال عليه السلام .

وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا .

وعلى آله وأصحابه الذين كانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم . وسائر أتباعهم وأحزابهم ومن هدي هديهم أما بعد فان الله تعالى خلق الخلق لأجل معرفته . والتحقق بعبوديته . والقيام بحقوق ربوبيته . باتباع شريعته المحمدية المطهرة والمحافظة على قواعدها وقوانينها المقررة التي أكدها أداء النصيحة والمحافظة على حقوق الاخوة الدينية واتحاد الكلمة وجمع القلوب على ما يتعلق بصيانة شرف الشريعة الشريفة وصيانة حقوق جميع أفراد الملة المحمدية وذلك هو الامر المطلوب وكذلك الاتيان بما يتعلق بذلك من الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الارحام .

بما أشارت لوجوبه الآيات البينات والأحاديث الصحيحة عنه عليه السلام . وحيث أن
السلامة والفوز بسعادة الدارين وبلوغ المراد . متوقف على صدق الاتحاد . والقيام بواجبات
تلك الحقوق وحسن الانقياد . وضعت هاته الرسالة لتقرير ذلك وسلكت في بيان أصوله
بحمد الله تعالى مع الاختصار أحسن المسالك . ورتبتها على مقدمة وبابين ونتيجة وهي الخاتمة .

المقدمة في بيان وجوب النصيحة العامة وبيان معناها والإشارة الى الاصل المراد
من مبناها .

الباب الأول في بيان بعض ماورد في وجوب الاتحاد من الآيات البينات والأحاديث
الصحيحة وبيان فوائده وما فيه من المنافع . وبيان الاسباب القاطعة والآفات المانعة من
فهم السر المودع في ذلك ومعرفة الاصل الجامع .

الباب الثاني في تقرير اثم من قطع ما أمر الله بوصله ووجوب إلحاق كل فرع بأصله .

النتيجة وهي الخاتمة في بيان المقصود من تلك القواعد . وما يترتب على الاجتماع
والاتحاد من المنافع وعلى ضد ذلك من المفسد . وبيان موضع الاجتماع لتأم
القوة والانتفاع .

وسميتها . انوار الاعم . في بيان الاصل الجامع

ومن بحر فضل الله الاستمداد . وعليه في كل الامور الاعتماد .

المقدمة

في بيان وجوب النصيحة العامة وبيان معناها . والاشارة الى الاصل
المراد من مبناها

أخرج الامام البخاري في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال

الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ .

أي قوام الدين وعماده النصيحة لله بالايان به واجتناب مساخطه وإتيان محابه والاعتماد
في كل الامور عليه والاخلاص له في سائر الاعمال ورد العاصين إليه وموالاة من أطاعه
ومعاداة من عصاه والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتصديق برسالاته والايان بجميع ما أتى به
واحياء سنته ونصرة شريعته . والقيام بجميع حقوق أهل ملته ، والنصيحة لأئمة المسلمين بطاعتهم
واعانتهم على الحق وعلى جميع ما فيه مصلحة الخلق وردّ القلوب النافرة اليهم .
وحسن الظن بهم والدعاء لهم .

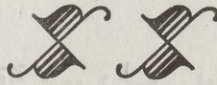
والنصيحة لعامة المسلمين بالشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وكف الاذى عنهم
وحفظ حقوق أخوتهم الدينية وتعليمهم ما ينفعهم والذب عن أموالهم وأعراضهم وقال عليه السلام

مَا أَهْدَى الْمُسْلِمُ إِلَى الْمُسْلِمِ أَحْسَنَ مِنْ كَلِمَةِ حِكْمَةٍ سَمِعَهَا فَوَعَاَهَا
وَعَمِلَ بِهَا فَازْدَادَ بِهَا هُدًى .

وقال تعالى :

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ .

وعلمة ذلك الانقياد الى كل عمل مقرب الى الله تعالى من جهة التكليف المتوجه على الاذن من امر أو نهى ومخالفة الهوى في طلب مرضاة عالم السر والنجوى والمراد بالعباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا الى ربهم فهم الذين لهم البشرى وهم الذين هدىهم الله وهم أولو الالباب والمراد بالطاغوت هنا الشيطان وكل ما عبيد من دون الله ، المعنى تركوا ما زينته لهم الشيطان من قبيح الاعمال وعلموا أنه لهم عدو مبين فأعرضوا عن وساوسه المستزين بنور معرفة الله الذي به يتميز الحق من الضلال وانما يجتنب الطاغوت من خالف هواه واتبع رضى مولاه ورجع اليه رجوعاً كلياً بالخروج عما سواه كما يشعر به قوله وأنابوا الى الله أي أقبلوا عليه معرضين اعراضاً كلياً عما سواه فهم الذين استمسكوا بالعروة الوثقى واعتصموا بمجبل الله .



الباب الاول

في بيان بعض ماورد في وجوب الاتحاد من الآيات البينات والاحاديث الصحيحة
وبيان فوائده وما فيه من المنافع وبيان الاسباب القاطعة والآفات المانعة
من فهم السر المودع في ذلك ومعرفة الاصل الجامع

قال الله تعالى

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ .

المعنى تمسكوا جميعاً بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فيه .
متصفين بما يقتضيه ذلك الدين القيم من مكارم الاخلاق والبعد عما يوجب بينكم الخلاف
والشقاق وعن الاتصاف بأوصاف الجهل والنفاق ثم نهاهم سبحانه وتعالى عما يوجب الفرقة
ونزيل الالفه والمحبة بقوله ولا تفرقوا وبقوله

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

يعني تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد منهم
رئيساً في بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعي أنه على الحق وان صاحبه على الباطل
ولما أمر الله تعالى هذه الامة بأن يكونوا أمريين بالمعروف وناهين عن المنكر في قوله

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ الْآيَةِ .

وذلك لا يتم إلا إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قادراً على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمعتدين والمتغلبين ولا تحصل هاته القدرة إلا إذا حصلت الالفة والمحبة بين أهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله تعالى عن التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سبباً لعجزهم عن القيام بهذا التكليف فعلى المسلمين أن لا يكونوا متبعين أهواءهم بمقتضى طباعهم غير متفقين على كلمة واحدة في نصرة الدين وردع المفسدين المعتدين وقد سئل النبي ﷺ وهو على المنبر من خير الناس ؟ قال

أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَتَقَاهُمْ لِلَّهِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ .

وقال رسول الله ﷺ

عُذِّبَ أَهْلُ قَرْيَةٍ فِيهَا ثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ أَلْفًا عَمَلُهُمْ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ ؟ قَالَ لَمْ يَكُونُوا يَنْغَضُّونَ لِلَّهِ وَلَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وقال تعالى

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً يعني في الجاهلية قبل الاسلام كانت بينهم العداوة والبغضاء والحروب المتواصلة فَأَلْفَ يَنْ قُلُوبِكُمْ (بنعمة الاسلام) فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا يعني صرتم بسبب تلك النعمة التي هي التآلف إخواناً متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متواحمين متناصبين متفقين على كلمة الحق وقال تعالى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ والخطاب موجه الى الامة المحمدية فمذهبه وصية لجميع المسلمين امر الله تعالى المؤمنين بإقامة الدين أي حفظه ووقايته والاجتماع عليه ونهائهم عن التفرق فيه فان يد الله ونصرته مع الجماعة وانما يأكل الذئب الشاة البعيدة النافرة المنفردة عن الجماعة .

يُحكي أن حَكِيمًا أوصى أولاده عند موته وكانوا جماعة فقال لهم آيتوني بعصي فجمعها فقال لهم اكسروها وهي مجموعة فلم يقدرُوا على ذلك ثم فرقها فقال لهم خذوها واحدة واحدة فاكسروها فاكسروها فقال لهم هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأهلككم وهكذا القائلون بالدين إذا اجتمعوا على إقامته ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو وهذه صفة المؤمنين المؤيدين فهم الموعودون بالنصر في قوله تعالى

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ « روم »

قال العلماء في هذه الآية تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر وتنبية للمؤمنين على أن العاقبة لهم لأنهم هم المتقون وقد قال تعالى وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

وقال الله تعالى

كُتِبَ اللَّهُ لَا غَلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ « مجادلة »

قال بعض الأكابر فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين في بعض الاحيان وقد وعدم النصر ؟

قلت الجواب عن ذلك من وجهين

أحدهما ان الغلبة والنصرة منصب شريف لا يليق بالكافر لكن الله تعالى بمقتضى حكمته تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الضروري بأن الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلب الله المحنة على أهل الايمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله تعالى .

الثاني ان المؤمنين قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا تمهيدا لذنوبه وتطهيرا لقلبه .

وأما تشديد الحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب وما من سابق عدل إلا له لاحق فضل ولا سابق فضل إلا له لاحق عدل فالله تعالى يُقلب الانسان تارة من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء وانواع الآلاء والنعماء واخرى يعكس الامر كما يفعلها الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلطفه اخرى طلباً لصلاحه والزماً للحجة وازاحة للعلة ففي هذه المعاملة تربية له وفائدة عظيمة في دينه ودنياه ان تَفْطَن قال تعالى

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ يعني يوم أُحُد من قتل سبعين منكم قال تعالى قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا يعني من المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وامر سبعين قال تعالى قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا يعني تعجبتم وجزعتم وقلتم من أين اصابنا هذا فقد قال المنافقون لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم أُحُد وادّعى ذلك الى ان قالوا من أين هذه المغلوبة للمشركين فكيف انتصروا علينا مع شرهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام فامر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يجب عن سؤالهم فقال تعالى

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ

اي هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم وذلك بما حصل منهم من مخالفة الامر ومن الفشل وبما وقع بينهم من المنازعة وبأنهم فارقوا المركز وفرقوا الجمع واستغلوا بطلب الغنيمة معرضين عن طاعة الرسول عليه السلام في محاربة العدو فهذه كلها ذنوب ومعاصي والله تعالى انما وعدهم النصر بشرط ترك المعصية قال تعالى

إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ

المعنى ان تنصروا الله وسنة رسول الله بالاتباع والحفظ والصيانة ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم في موطن الحرب ومواقفها ويؤيدكم في موقعها فاذا فات الشرط لاجرم يفوت المشروط قال تعالى

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ومن جملة ذلك النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن طاعة
اصابكم منه تعالى ما اصابكم ثم قال تعالى

وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا «الآية»

قال تعالى في آية اخرى يمدح المؤمنين

فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ

يعني فما فتروا وما افكسرت هممتهم وما ضعفوا عن العدو ولا عن الجهاد ولا ضعفوا في
الدين وما استكانوا يعني ما خضعوا للعدو والله يحب الصابرين على مقاساة الشدائد ومعاناة
المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم قال تعالى

وَمَا الْنَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

يعني لامن العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا ينبغي للمؤمن أن يركن الى شيء من ذلك
بدون اعتماد على الله تعالى فإن ترتب النصر على كثرة العدة والعدد ليس الا بطريق جرى
العادة من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر فاذا لم يكن الاعتماد على الله تعالى
لاتقيد مع العدة والعدد بل لا ينبغي وجود ذلك شيئاً .

قال الله تعالى

وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ «عمران»

وقال تعالى

وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ

يعني وليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف ومائر الاسلحة
في مجاهدة اعدائه بالغيب يعني غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ينصرونه

ولا يبصرونه وإنما يُحمد وبُشَاب من اطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع يؤمنون بقلوبهم
لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فعلى العاقل نصرة الدين على مقتضى العهد
المتين ولا يتم ذلك الا بالاتحاد وجمع القلوب وحفظ شعائر شريعة سيد المرسلين وصيانة
حقوق جميع افراد المسلمين .

قال الله تعالى

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ « انبياء »

ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم أي الناس التي يجب أن تحافظوا عليها بحفظ حدودها
ومراعاة حقوقها وعدم الاخلال بشيء منها حالة كون تلك الامة أي الملة أمة واحدة
أي ملة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام فانهم متفقون في الاصول وان كانوا
مختلفين في الفروع بحسب الامم والاعصار وأنا وبكم لا إله لكم غيري فاعبدون خاصة
ولا تشرکوا بي شيئاً ثم قال تعالى على جهة الذم والانكار

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ « الآية انبياء »

القطع فصل الشيء مدركا بالبصر كالأجسام أو بالبصيرة كالأشياء المعقولة والمعنى جعل
الناس أمر الدين قطعاً واختلفوا فيه فصاروا فرقاً كأنه قيل ألا ترون الى عظيم ما ارتكب
هؤلاء في دين الله حيث جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً فأصاب كل جماعة منهم قطعة من
الدين فصاروا بقطع دينهم كأنهم قطع شئ يلعب بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض
قال الله تعالى متوعداً من ارتكب ذلك

كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ

أي كل واحدة من تلك الفرق الممتعة راجعون إلينا لا لغيرنا بالبحث فنجازيهم حينئذ
بحسب أعمالهم وإذا كان كذلك فكيف يسوغ لكم التنازع والاختلاف والتفرقة بل يجب
عليكم التوافق والاتحاد وعدم الاختلاف والعناد خصوصاً فيما يتعلق بمصلحة الملة الواحدة

بالاجتماع على نصرتهما بالقلوب المتحدة والآراء المتعاضدة وقالوا في قوله تعالى

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى الْآيَةُ

انه مساق مساق الذم لأعداء الدين يكون قلوبهم متفرقة لا إلفة بينها وهذه صفة
المغلوبين المقهورين الخذولين فهم بخلاف من وصفهم الله تعالى بقوله

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفٌ يَتَنَاهَوْنَ

فهذه صفة الغالبين المؤيدين المنصورين وفي ذلك تشجيع للمؤمنين على قتالهم وتجييسير لهم
وأبى اللاتئق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين في عهد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو يظفر في
الافتراق بمراده قال سهل: أهل الحق مجتمعون أبداً متوافقون . وان تفرقوا بالأبدان
وتباينوا بالظواهر وأهل الباطل متفرقون أبداً وان اجتمعوا بالأبدان وتوافقوا بالظواهر
لأن الله تعالى يقول

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ «حشر»

أي لا يعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا
عن قوس واحدة فهم بسبب عدم العقل في تيه الضلال هائمون قد تشتت قلوبهم حسب
تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يرهق قواهم لان صلاح القلب يؤدي الى صلاح
الجسد وفساده الى فسادة وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال :

أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ
فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ

وصلاح القلب انما يكون بسلامته من عوارض الآفات ومن الامراض الناشئة عن
ذميم الصفات كالحقد والحسد والكبر وحب الدنيا الذي هو منشأ جميع المضار ورأس سائر
الخطيئات فاذا امتلأ القلب بظلمة تلك الاوصاف الذميمة وانطبعت صورها في مرآته

ذهب الله بنوره وتركه في مرض ظلمته ييم في مهامه الضلالة والغواية ولا يصبر بسبب انطلاس البصيرة منه طرق الحق ومسالك الهداية قال الله تعالى :

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ «حج»

يشير الى ان العقل الحقيقي انما يكون من نتائج صفاء القلب بعد تصفية حواسه عن العمى والصمم فاذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بساتر صفات الحي من وجوه الادراكات فكما تبصر القلوب بنور اليقين تدرك نسيم الاقبال بمشام السير فالجهال يرون الاشياء بآبصار الظاهر وقلوبهم محجوبة عن رؤية حقائق الاشياء التي هي تابعة انوار الذات والصفات اعماهم الله بغشاوة الغفلة وغطاء الشهوة فالعمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر وفي الحديث الشريف

مَمْنٌ عَبْدٌ إِلَّا وَلَهُ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دُنْيَاهُ وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دِينِهِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ عُغْمِيَانِ بَصَرَ الْقَلْبِ لَا يُبْصِرُونَ بِهِ أَمْرَ دِينِهِمْ
وقال الله تعالى :

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ «أنفال»
يعنى بالعم الذين لا يسمعون الحق وبالكم الذين لا ينطقون بالحق فهم الذين لا يعقلون الحق فقد عدم تعالى من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله وهو العقل وقال الله تعالى :

وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ «أعراف»
يعنى ينظرون اليك باعينهم وهم لا يبصرونك ببصائرهم . أي لا يدركون كالاتك وفنائك كما أنت عليه فهم غائبون عنك في الحقيقة .

حكى أن السلطان محمود الغازي دخل على الشيخ الرباني ابي الحسن الخرقاني قدس الله سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال ياشيخ ماتقول في ابي يزيد البسطامي ؟ فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى . فقال السلطان وكيف ذلك وابو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يتصل بالسعادة ولم يتخلص من الشقاوة .

فقال الشيخ في جوابه ان ابا جهل ما رأى رسول الله ﷺ رسولاً وانما رأى محمد ابن عبد الله يتم ابي طالب فلو كان رأى رسول الله ﷺ رسولاً لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ثم قال الشيخ ومصدق ذلك قوله تعالى :

وَرَبِّهِمْ يَنْتَظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب يورث ذلك فمن رأى أبا يزيد بهذه العين فاز بالسعادة انتهى .

فالاعمى هو من لا ينظر نظر اعتبار والاصم من لا يسمع ما يتلى عليه من آيات الله سماع تدبرٍ وفي الحديث الشريف

حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ انتهى

واذا تأملت بعين الحق رأيت كل القبايح والمفاسد والشرور ناشئة عن حب الدنيا فهو الذي يحمل صاحبه على ارتكاب انواع المحرمات وعلى ظلم العباد وعلى سلوك جميع طرق الفساد وهو السبب الاقوى في حصول التنازع والتخالف والتدابر والتقاطع والتهاجر الذي هو السبب في ضعف القوة وكسر الشوكة وزوال الصولة .

فيجب على الانسان المبادرة لتدارك امره بتطهير قلبه ومداواته من امراض تلك الاوصاف وسلوك طرق العدل والانصاف .

ومن اقبح الاوصاف الذميمة التي تجب المبادرة الى تطهير القلب منها التكبر فانه سبب الحرمان من ادراك انوار الامرار وحقائق العرفان كما يشير اليه قوله تعالى

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ «الآية أعراف»

المعنى سأطبع على قلوب الذين يُعْدُونَ أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزيةً وفضلاً فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق ولا يغتنمون بنعم آثارها أخبر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه حَرَمَ المتكبرين من امته فهم معاني القرآن والتدبر فيما كما قيل ابي الله ان يكرم قلوب الظالمين بتمكينهم من فهم حكمة القرآن والاطلاع على عجائبه وهو كقوله تعالى

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ «الآية البقرة»

والمراد بالختم على القلوب ان يحدث في نفوسهم هيئة تُمَرِّئُهُمْ على استجاب المعاصي واستقبال الطاعات بسبب غيم وانما كهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق والمراد بالختم على السمع يعني الأذان جعلها بحيث تعاف استماع الحق ولا تصغي الى الخير ولا تعيه ولا تقبله والمراد بالغشاوة المجعولة على ابصارهم احداث حالة تجعل ابصارهم بسبب ضلالهم لا يتجلى الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجعلها عين المستبصرين فتصير ابصارهم كأنها غُطِي عليها وحيل بينها وبين الأبصار وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ كَمَا يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ قَلِيلٌ وَمَا جَلَاءَ هَا؟ قَالَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَكَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَأَمَهَاتُ أَلْخَطَايَا ثَلَاثَةٌ الْحِرْصُ وَالْحَسَدُ وَالْكِبَرُ انتهى

فالانسان متى طهر قلبه من ذمير الصفات اشرقت فيه انوار المعرفة بالله تعالى واستقر فيه نور اليقين فيرى بعين بصيرته الحق حقاً والباطل باطلاً والغاني فانياً والباقي باقياً فينشد بحسب الله تعالى ويبغض في الله ويحتجب بجميع القبائح ويسارع الى مافيه رضى مولاه وقوة اليقين أصل كل عمل صالح كما ان ضعفه أصل كل فبيح وفي الحديث الشريف .

أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ضَعْفَ الْيَقِينِ

فقوة اليقين رأس مال الدين وقد قال تاج الدين في الحكم لو اشرق نور اليقين في قلبك لرأيت الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها ولرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل اليها «انتهى» والقلب محل نور المعرفة بالله تعالى وخزانة امراة ومشرق انواره فمنى صلح باشراف شمس المعرفة فيه وبجلول مر الهداية في نواحيه ظهر اثر ذلك على الجوارح ونشطت للعبادة وهو معنى قوله عليه السلام صلح الجسد كله والعكس بالعكس وقد قيل واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء واذا سخر الاله اناساً وقيل لسعيد فانهم سعداء

فبصلاح القلب تحصل انواع السعادة ويسهل الحب في الله والاجتماع عليه والافتراق لاجله والاخلاص له في جميع الامور والاعتماد عليه اذا علمت هذا علمت ان الاجتماع والتوافق امر مطلوب في الشرع والعقل ومنافعه متعددة من حيث أن للنفوس تأثيرات واذا تطابقت النفوس وتوافقت على شيء واحد قوي التأثير وايضا فانها عند التوافق يصير كل واحد منها معيناً للآخر في ذلك المقصود المعين وكثرة الاعوان توجب حصول المقصود :

اما اذا تخالفت تنازعت وتجادلت فضعفت فلا يحصل المقصود وايضا حصول التنازع والتفرقة ضد مصلحة العالم لان ذلك يفضي الى المهرج والمرج والتخاذل فلهذا امر الله تعالى باقامة الدين على وجه لا يفضي الى التفرق وقال الله تعالى :

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيكُكُمْ « أنفال »

فمنه الله تعالى المؤمنين عن التنازع والتخالف وبين تعالى ان وقوع ذلك بينهم يستلزم امرين احدهما انه بوجوب حصول النشل والضعف والتراخي والجبن والثاني ذهاب الدولة وزوال الشوكة والقوة والصولة وعن ذلك عبر بالريح شبت الدولة وقد نفاذها وقام سطوتها وتمشية امرها بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دانت له الدولة ونفذ امره وقال مجاهد وتذهب ريحكم اي نصرتكم . وقال الله تعالى :

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ يَدْيِكُمُ الْآيَةُ « أنفال »

والمراد بذات البين الاحوال التي تقع بين الناس يعني اتقوا الله واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة والاختلاف الموجب لسخط الله تعالى واصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم كما تصلحون ما بينكم من الاخلاق الرديئة والمهم الدنية . ثم أكد سبحانه وتعالى ذلك بأن امرهم بطاعة الله والرسول بقوله تعالى

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

ثم بالغ في هذا التأكيد فقال تعالى :

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

والمراد أن الايمان الذي دعاكم اليه الرسول ﷺ ورغبتم فيه لا يتم حصوله الا بالتزام هاته الطاعة فاحذروا الخروج عنها .

أخرج الامام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ انه قال :

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَذِلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ

فقوله عليه السلام ولا تؤمنوا حتى تحابوا معناه لا يكمل ايمانكم ولا يصلح حالكم في الايمان الا بالتحاب ولا تدخلون الجنة عند دخول اهلها اذا لم تكونوا كذلك وفي قوله عليه السلام افشوا السلام بينكم حث عظيم على افشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت منهم ومن لم تعرف كما ورد في الحديث الآخر وذلك لان السلام اول اسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفي افشائه تمكّن لغة المسلمين بعضهم لبعض واطهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من اهل الملل مع ما فيه من رباطة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمان المسلمين وفي ذلك لطيفة اخرى وهي ان ذلك يتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين المأمور باصلاحها وأن سلامه لله تعالى لا يتبع فيه هواه ولا يخص اصحابه واحبابه لان

المؤمنين كلهم اخوة ولا يجوز لاحد ان يحتقر اخاه المسلم ولا ان يستخف به ويسقطه عن
درجته وبعده ممن لا يلتفت اليه بل يراعي فيه وصف الاسلام واخوة الدين كائناً من كان
وكيف ما كان وقد قال الله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا
خَيْرًا مِنْهُمْ ۖ الْآيَةُ «حجرات»

يشير الى انه لا عبرة بظاهر الخلق فلا تنظر الى احد بنظر الازدراء والاستهانة والاستخفاف
والاستحقار لان في استحقار اخيك عجب نفسك مودع كما نظر ابليس بنظر الحقارة الى
آدم عليه السلام فاعجبته نفسه فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلعن الى
الابد لهذا المعنى فمن حقر اخاه المسلم وظن أنه خير منه يكون ابليس وقته واخوه آدم
وقته ولهذا قال تعالى عسى ان يكونوا خيراً منهم يعني لا ينبغي لمسلم ما ان ينظر لمسلم ما
بنظر الحقارة عسى أن يكون خيراً منه ولا يجوز له ان يطعن فيه ولا ان يعيب عليه فان
المؤمنين كنفس واحدة والافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس فيكون ما يصيب الجميع
فمن احتقر مؤمناً او عابه فكأنما احتقر وعاب نفسه كما يشير اليه قوله تعالى

وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ «حجرات»

وانما قال انفسكم لان المؤمنين كنفس واحدة ان عملوا شراً الى احد منهم فقد عملوا الى
انفسهم وان عملوا خيراً الى احد فقد عملوا الى انفسهم كما قال تعالى :

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۖ «اسراء»

قال الله تعالى :

وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

يعني ومن لم يتب من مقالة ابليس وفعاله بان ينظر الى نفسه بالعجب والى غيره بالحقارة
فاولئك هم الظالمون فيكونون منخرطين في سلك اللعنة والطرده مع ابليس كما قال الله تعالى

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

وقال الله تعالى :

وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَعِنَ الظَّالِمِينَ « هود »

واستناد الازدراء الى الأعين للمبالغة والتنبيه على انهم استزدلوهم بادي الرؤية من غير
روية ولا تأمل في معانيهم وكلماتهم وفي قوله :

إِنِّي إِذَا لَعِنَ الظَّالِمِينَ

تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واستزدلهم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه

ان رسول الله ﷺ قال :

الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ وَلَا يَسْتَكْبِرُ
عَلَيْهِ التَّقْوَى هُنَا التَّقْوَى هُنَا وأشار إلى صدره الشريف

فقوله عليه السلام المسلم اخو المسلم يعني اخوة الاسلام لا يظلمه بنقصه حقه او يمنعه اياه
ولا يخذله بترك الاعانة والنصرة اذا استعان به في دفع ظالم ونحوه ولا يحقره اي لا يحتقره
ولا يستكبر عليه اصل التقوى الاجتناب والمراد هنا اجتناب المعاصي وكان المتقي يتخذله
وقاية من عذاب الله بترك المخالفة وقوله هنا اشارة الى ان الاعمال الظاهرة لا تحصل بها
التقوى اذا لم تكن ناشئة من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته فمن كانت التقوى في قلبه
فلا ينظر الى أحد بعين الحقارة وفي الحديث الشريف .

يَحْسَبُ امْرِئٌ مِّنَ الشَّرِّ اَنْ يُحَرَّ اَخَاهُ الْمُسْلِمُ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى
الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ

يعني يكفيه من الشر احتقاره اخاه المسلم والعرض موضع المدح والذم من الانسان
او هو جانبته الذي يصونه والحاصل انه يجب على المسلم ان يحفظ حرمة اخيه المسلم وان يعامله
بما يكون سببا لاستجلاب مودته واتلافه واتحاده معه فان اتحاد المسلمين وائتلافهم سبب
عزتهم ونصرتهم وخيرهم وسعادتهم وانتظام امورهم الدينية والدنيوية وذلك اعظم مقاصد
الشرع لما فيه من الاصلاح والنفع .

فيا ايها المسلمون في جميع الاقطار اما آن لكم ان تنظروا بعين التيقظ والانتباه
والاعتبار الى ما حام حول هذا الدين المحمدي في سائر الجهات من الاخطار .

اما علمتم مراد من يريد ابادته هاته الملة المحمدية من السعي في تفريق كلمتكم وتشتيت
جمعكم والقاء الفتن بالوساوس الوهمية بينكم باذلالكم ذلك في صورة النصيحة وتلك دعوى
وحق عالم السر والنجوى ليست بصحيحة وانما المراد تفريق جمعكم وتوهين عزمكم وحل
حزمكم وابقاع النفرة بينكم حتى اذا تدابرتم وتقاطعتم وتنازعتم وتخالفتم وذهبت ريحكم
التي هي النصر وبقيتم عرضة وهدفاً لغيركم من اهل العصر متفرقين جماعات في سائر الجهات
سهل على المفترس اكلكم وصار في قبضته وتحت قهره بعضكم وكلكم .

اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ «حديد»

وينهضوا بعزم وحزم لتدارك هذا الخلل بصادق القول وصالح العمل .
فالمقصد باعباد الله واحداً وان اختلف الطرق وسحاب الجبل قد حجب شمس المعرفة وسد الافق

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ «صف»

متشبهين بأذيال من وصفهم الله تعالى بقوله:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فالدين يأمر بالاجتماع على النصره وحفظ شعائر الشريعة وان اختلفت الالسنه والطبائع والالوان وكل على سنته وصيانته حرمة في جهته بغير تعد ولا عدوان والرحم الديني احق بوجوب الصلة وكفيل على كل حال بدوام الالفة والالتحام .

قال الله تعالى

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ «النساء»

اي لا تقطعوا في الدين والنسب اغصانا تنسحب من جرثومة واحدة واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتهما بمكان عظيم منه وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم

الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ

فينبغي للعباد مراعاة الحقوق والقيام بواجبات الصلة لان الكل اخ لاب وام هما آدم وحواء لاسيما المؤمنين لان فيهم قرابة الايمان والدين التي هي كداعتبارا في الشرع بوجوب الصلة وكذا الحال في قرابة الطين قال عليه السلام .

مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَ رَحِمَهُ قَطَعَهُ اللَّهُ

وقال عليه السلام لما خلق الله الرحم قال :

فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَصْلَنْ مَنْ وَصَلَكَ وَلَا قِطْعَنْ مَنْ قَطَعَكَ قَالَ عَلَيْهِ
السلام فَأَقْرؤُا أَنْ شِئْتُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ « الآية » فهذا نص في وعيد قاطع الرحم

والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة والرعاية
والنصرة فلو لم يحصل شيء من ذلك لكان اشق على القلب وابلغ في الايلام والايحاش والضرر
وكلما كان اقوى كان دفعه اوجب فلهذا وجبت رعاية حقوق الاقارب .

ثم ان صلة الرحم وان كانت واجبة بين ذوي القرابة الطينية يعني قرابة النسب الا انها
أكد وجوبا بين ذوي القرابة الدينية وهم المؤمنون الذين جعل الشرع قرابتهم المعنوية ازيد
اعتبارا واكد في وجوب الصلة والمبرة بينهم من ذوي القرابة الطينية .

قال الله تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ «حجرات»

المعنى انما المؤمنون منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الباقية الابدية
كما ان الاخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية المنقطعة
فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبني على تشبيه الايمان بالاب في كونه سبب الحياة كالاب

قال الله تعالى

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ «حجرات»

(واتقوا الله في اخوتكم في الدين بحفظ عهودهم) الفاء للايزان بان الاخوة الدينية
موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب

الاصلاح ونخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيها فوق ذلك بطريق الاوليه
لتضاعف الفتنة والفساد فيه .

اي واتقوا الله في اخوتكم في الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم في المشهد والمنعيب
والحياة والممات فاذا كانت الاخوة كانت الشفقة والرحمة ولا معنى للشفقة والرحمة الا ان تنقذ
اخاك من المهالك والخاوف وتنقله من الجهل الى العلم ومن الذم الى الحمد ومن النقص الى
الكمال لان الرحمة عبارة عن التغليب من انواع الآفات وعن ابدال الخيرات الى اصحاب
الحاجات ولا يكمل عبد الايمان حتى يجب لاخيه ما يجب لنفسه وانما المؤمنون رجل واحد
ويد واحدة على من سواهم وبما يدل على ان القراية الدينية اقوى من قرابة النسب وازيد
اعتباراً في الشرع في وجوب الصلة انه اذا انتفت القراية الدينية ينتفي بانتفاء اعتبار قرابة
النسب بحيث لا تعتبر اخوة النسب شرعاً اذا خلت عن اخوة الاسلام .

الا ترى انه اذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لأخيه الكافر وهكذا
اذ لا توارث بين أهل ملتين كما في الحديث الشريف وهذا المعنى يستفاد من الآية ايضاً لان
انما للحصر فكانه قيل لا اخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بين المؤمن والكافر .

قال بعض العارفين اعلم ان اخوة النسب انما تثبت اذا كان منشأ النطف صلباً واحداً
فكذلك اخوة الدين منشأ نطفها صلب واحد وهو صلب النبوة وحقيقه نطفها نور الله تعالى
فهم كنفس واحدة كما قال عليه السلام

المؤمنون كنفسٍ واحدةٍ إذا اشتكى عضوٌ واحدٌ تداعى الجسدُ

بالحمى والسهر

فمدار الاهلية هو القراية الدينية وبدونها لا تعتبر قرابة النسب كما علمت مما تقدم
وقد قال تعالى لنوح عليه السلام في حق ابنه حيث لم يكن على دينه

يَانُوحَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الآية « هود »

قال المحققون هذه الآية تدل على أن العبرة بقربة الدين لا بقربة النسب فان في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه ولكن لما انتفتت قرابة الدين لاجرم نفاه الله تعالى بأبلغ الالفاظ وهو قوله تعالى

إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

ثم بين سبحانه وتعالى ذلك بقوله

إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ «هود»

فالاهلية على نوعين اهلية القرابة وأهلية الملة والدين والمعتبر منها شرعاً اهلية القرابة الدينية ، وهي ازيد كما علمت

وانظر قوله تعالى

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ «مجادله»

كيف يستلزم نفي الايمان ممن يعتبر قرابة النسب مع انتفاء قرابة الدين تعلم من ذلك ان القرابة الدينية هي المعتبرة شرعاً ازيد من قرابة النسب في وجوب الموالاة والمراعاة وحفظ الحقوق التي منها نصر المظلوم واغاثة واعانته لاسيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بحفظ الديانة وصيانة ناموس الشريعة فالمسلمون جميعاً في وجوب القيام بامر ذلك كالرجل الواحد والمراد ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مغلوباً مطروحاً بسبب الدين وقرابة النسب قد يعرض ما يمنع الانتفاع بها اما من الكفر او من العداوة الثابتة في الاهل والاولاد الناجمة عن الحسد والتنافس ونحو ذلك بخلاف قرابة الدين المؤسسة على الموالاة في الله والمعاداة لأجله كما في الحديث الشريف

الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ

فإن مورد هاضاف دائماً لسلامته من عروض ما يكدره وصيانه بمرعاة ما اوجبه الشرع الشريف في حسن المعاشرة والمعاملة عما يُغيره فتلك القرابة المعنوية الروحية هي القرابة الحقيقية والأخوة الصادقة الدينية وعلامة صدقها كما قيل

ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدك شئت فيك شمله ليجمعك

والجزء لاشك أنه يكون من جنس العمل وبالتحقق بذلك تحصل النتيجة المطلوبة
وتصدق الامنية يتحقق الامل اذا علمت هذا علمت أن لمة القرابة الدينية بها تكون الحماية والمدافعة والمقاومة والمطالبة وكل امر يُجتمَعُ عليه .

فحينئذ يحصل تمام شرف الامة وبعلو قدرها وتقوى شوكتها وتتجدد صولتها كما كان في صدر الاسلام حيث كانت القوة الدينية على ما يتعلق بمصالح شرف الامة مجموعة والكلمة نافذة في مشارق الارض ومغاربها مسموعة فبذلك قوي الاسلام وتم ظهوره وعلا نوره ثم ان الاسلام وان كانت الآن فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة .

الا انه لا بد لتام القوة وحصول النتيجة المطلوبة من رجوع تلك العصبيات كلها الى
عصية واحدة جامعة تستبعبها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصية واحدة كبرى للقدرة على الوصول الى المطلب الجامع والمقصد العام الذي هو صيانة شرف الشريعة المطهرة وحفظ ناموسها وحقوق اهلها

فتمي التحدث المقاصد في ذلك كبرت تلك العصية وقويت وصارت لها القدرة الكاملة
والشوكة النافذة في اتمام تلك الصيانة وحفظ حقوق جميع افراد الملة اينما كانوا وكيفما كانوا
ومتى لم يكن امر المسلمين كذلك وسلوكهم في امر دينهم من تلك المسالك
وقع الافتراق والتخالف والتنازع فيفضي ذلك الى الفشل وذهاب النصر كما سبقت
الاشارة اليه فينال العدو مريد اطفاء نور الاسلام مرغوبه ويتمكن بسبب ذلك من

الايقاع بكل جهة وطائفة على حدتها والعياذ بالله تعالى كما وقع بطوائف الاندلس وغيرها
من خالف من المسلمين ما أمر الله به واوجبه من الاتحاد والتوافق والاجتماع .

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ « بقرة »

من الاختلاف والتخاذل والنزاع حتى عجزوا عن نصر الدين بل لم تبق لهم قوة
على الدفاع .

فيجب على جميع المسلمين امعان النظر والتمعن لما هم فيه من الغفلة والخطر والمبادرة
لتدارك الامر بامثال ما امرهم به الشرع الشريف من التراحم والتوادد والتناصر وحفظ
الحقوق الاسلامية ونصر الملة المحمدية فانهم في ذلك كرجل واحد كما قال ﷺ المؤمنون
كرجل واحد وحفظ هذا الدين الذي هو الامر المطلوب متوقف على اتحاد القلوب ولا يصلح
آخر هاته الامة الا ما صلح اولها وقد قال ﷺ

اَلْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلُمُهُ

اي لا يتوكله مع من يؤذيه بل يحميه من عدوه وفي رواية اخرى عنه عليه السلام

اَلْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلُمُهُ فِي مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ

ثم ان اختيار الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج الى النية والى حسن الخاتمة وقد
قال عليه السلام في الخبر الطويل

سَبْعَةٌ يَظْلِمُهُمُ اللَّهُ بِظُلْمٍ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فَهُمْ اِثْنَانِ تَحَابَا فِي اللَّهِ
فَمَا شَاعِلُ ذَلِكَ وَمَا نَا عَلَيْهِ

امارة الى ان الاخوة والصحبة من شرطها حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المواخاة
وممتي افسد المواخاة بتضييع الحقوق فيها فسد العمل من الاول .

قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متواخين في الله تعالى متحابين فيه فانه
يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما والمواخاة في الله اصفى من الماء الزلال وما كان
لله فالله مطالب بالصفاء فيه وكل ما صفا دام والاصل في دوام صفاته عدم المخالفة .
وقد قالوا في قوله تعالى

فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ الْآيَةُ «روم»

انه يشير الى ان القرابة على قسمين قرابة النسب وقرابة الدين فقرابة الدين امس وبالمرعاة
احق وهم الاخوان في الله والاولاد من صلب الدين والنبوة .
قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ الْآيَةُ «توبة»
وقال الله تعالى :

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ
إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بَأَمْرِهِ «توبة»

فهذا وعيد كبير لمن أثر حظوظ نفسه على مصلحة دينه .

وقال الله تعالى

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الْآيَةُ «مائدة»

المراد ان الله تعالى امر المسلم ان لا يتخذ الحبيب والناصر الا من المسلمين فالولاية هنا بمعنى المحبة والنصرة على ماحرره أهل التحقيق فالمعنى انه يجب عليكم ان تختصوا اخوانكم من أهل الايمان بالموالاة والمحبة والنصرة ولا تختطوهم الى الغير فان موالاة الله في معاداة ماسوى الله

كما قال الخليل عليه السلام

فَاتَهُمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ

وقال الخليل عليه السلام ايضاً فيما حكى الله عنه

وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ - وادُّعُوا رَبِّي الْآيَةَ «مرسيم»

واعلم ان موالاة المؤمنين في مواخاتهم على القيام بنصرة الدين وحفظ شعائره وحقوق اهل ملته وقد قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام

لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ يعني في الدين

وقال الله تعالى

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ «توبة»

أي بعضهم على دين بعض في الحق اي متفقون في التوحيد وبعضهم معين بعض في أمر دينهم ودينهم يعني هذا شأنهم وهذه صفاتهم فمن لم يكن كذلك فمن نقصان دينه والسعيد من فاز بكمال الدين وبتمام اليقين



الباب الثاني

في تقرير اثم من قطع ما أمر الله بوصله ، ووجوب الحاق كل فرع باصله قال الله تعالى

وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يُنْقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ « بقرة »

المعنى ينقضون عهد الله اي يخالفون ويتروكون امر الله وعهد الله الى خلقه ثلاثة عهود :
العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقرّوا بربوبيته تعالى ولا
يشركوا به شيئاً وهو قوله تعالى

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْآيَةَ « اعراف »

والعهد الثاني ما اخذه على الانبياء بان يبلغوا الرسالة وقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه
وهو قوله تعالى

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ « الآية »

والعهد الثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتُمونه وهو قوله تعالى

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ

الآية « عمران »

وقوله تعالى

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

يشمل كل قطعة لا يرضى بها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم وقطع موالاة المؤمنين وترك الجماعة المفروضة وسائر حقوق القربات التي أمر الله بوصلها وهو كقوله تعالى .

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ «الآية- محمد»

قال بعضهم وفيه إشارة الى أنهم قطعوا ما بينهم وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من القرابة والله تعالى أمرهم ان يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين وهو المراد بقوله تعالى ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ففيه نهى عن التنازع والتخالف والتقاطع والنهajer وقوله تعالى

وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

المراد منه الصدُّ عن طاعة الرسول وقطع الوصلة التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه وذلك لان تمام الصلاح في الارض بالطاعة لان بالتزام الشرائع يلتزم الانسان كل ما لزمه ويترك التعدي الى الغير ومنه زوال النظام وفي زوال العدل الذي قامت به السموات والارض قال الله تعالى فما حكى عن فرعون

إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ «مؤمن»

وقوله تعالى

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ الْآيَة
اي يُتَوَقَّع منكم الفساد بامن في قلوبهم مرض ان توليم امور الناس وتأمرتم

عليهم بأن صرتم ولاة وحكاما عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطّعوا ارحامكم يعني قراباتكم الدينية تحارصاً على الملك وتمالكاً على الدنيا وقرأ علي رضي الله تعالى عنه

إِنْ تَوَلَّيْتُمْ بَضْمُ النَّاءِ وَالْوَاوِ وَكَسْرُ اللَّامِ بِعَيْنِ وَلِيِّكُمْ الظَّالِمَةِ مِلْتَمَ مَعَهُمْ وَعَاوَتُهُمْ فِي الْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ والمراد ان تفسدوا في الارض بعدم معونة اهل الاسلام على اعدائهم وتقطّعوا ارحامكم بسبب ذلك فلا ترقبون في مؤمن إلا ولا ذمة مع أن الله تعالى امركم بصلة الارحام التي هي من آكد واجبات الاسلام والرحم الديني احق بوجود الصلة والمراعاة كما علمت مما سبق فبقدر تقوية تلك المحبة الدينية والاجتماع عليها يعلو قدر الملة وتنفذ الشوكة وتتجدد الصلوة وعلى قدر ذلك يكون شرف افراد الملة وصلاح احوالهم الدنيوية والاخرية

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام

هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمُ الْآيَةَ

دلت هذه الآية على أن القوم كانوا قبل دخولهم في الاسلام ومتابعة الرسول عليه السلام في الخصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضاً ويُغيّر بعضهم على بعض ويلعن بعضهم بعضاً ، فلما آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر زالت الخصومات وارتفعت الحشونات وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة .

واعلم ان التحقيق في هذا الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير وكال فالحبة حالة معللة بهذا التصور الخصوص فمتى كان هذا التصور حاصلًا كانت المحبة حاصلة ومتى حصل قصور الشر والبغضاء كانت النفرة حاصلة .

ثم ان الخيرات والكمالات على قسمين احدهما الخيرات والكمالات الباقية الدائمة المبرورة عن جهات التغيير والتبديل وذلك هو الكمالات الروحانية والسعادات الالهية الابدية والثاني هو الكمالات المتبدلة المتغيرة وهي الكمالات الجسمانية والسعادات البدنية فانها سريع التبدل والتغير كالزئبق ينتقل من حال الى حال في اقرب وقت .

فالإنسان يتصور أن له في صحبة زيد مالا عظيما فيعجه ثم يحظر بباله ان ذلك المال لا يحصل فيبغضه ولذلك قيل أن العاشق والمعشوق ربما حصلت الرغبة والنفرة بينهما في اليوم الواحد مرارا لأن المعشوق انما يريد العاشق لماله والعاشق انما يريد المعشوق لأجل اللذة الجسدية وهذا الامر ان مستعدان للتغير والانتقال فلا جرم كانت المحبة الحاصلة بينهما والعداوة الحاصلة بينهما غير باقية بل كانتا سريعتي الزوال والانتقال .

إذا عرفت هذا فنقول الموجب للمحبة والمودة ان كان طلب الخيرات الدنيوية والسعادات الجسدية كانت تلك المحبة سريعة الزوال والانتقال لأجل ان المحبة تابعة لتصوّر الكمال وتصوّر الكمال تابع لحصول ذلك الكمال فاذا كان ذلك الكمال سريع الزوال والانتقال كانت معلولاته سريعة التبدل والزوال .

واما ان كان الموجب للمحبة تصور السمات الباقية المقدمة عن التغير والزوال كانت تلك المحبة ايضا باقية آمنة من التغير الى يوم القيمة بل كأنها قصير اقوى وأصفى وأكمل وأفضل بما في الدنيا لان حال المعلول في البقاء والتبدل تبع لحالة العلة وهذا هو المراد .

من قوله تعالى

أَلَا خَلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ « زخرف »

إذا عرفت هذا فنقول ان العرب كانوا قبل مقدم الرسول عليه السلام طالين المال والجاه والمفاخرة وكانت محبتهم معلة بجاهه العلة فلا جرم كانت تلك المحبة سريعة الزوال وكانوا يادفون سبب يقعون في الحروب والفتن .

فلما جاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة زالت الخصومات والحشونات عنهم وصاروا اخوانا متوافقين على قلب رجل واحد لانهم المقاصد حينئذ يقرب الى الله تعالى وفي القيام بحقوق الشريعة المطهرة وتنفيذ اوامرها وصيانة حقوق اهلها اينما كانوا وكيفما كانوا وذلك هو الموجب للرضوان الاكبر والفوز بانواع النعم العاجل والآجل واصلاح الاحوال في الحال والمآل .

فيجب على جميع من جاء بعدهم من المسلمين ان يسلكوا مسالك اولئك الهداة المهتدين فانهم ائمة الاقتداء وانجم الاهتداء كما وصفهم بذلك سيد المرسلين المبعوث لجميع العوالم على اختلاف الاجناس كما قال الله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ « سبأ »

والمراد بالاعراض عن الدنيا عدم تعلق القلب بها تعلقا يوجب الاعراض عن الله تعالى وعن القيام بعبادته التي لاجلها خلق الانسان وليس المراد بالاعراض عنها عدم السعي في اكتسابها بالكلية فانها مطية الآخرة كما ورد في الحديث الشريف

نِعْمَةُ الدُّنْيَا مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنِ يُصْلِحُ بِهَا مَافَاتٍ وَيُذْرِكُ بِهَا مَا هُوَ آتٍ

وانما المذموم ان يقبل الانسان على محبتها حتى يؤديه ذلك الى الافتتان بها واكتسابها من حلها ومن غير حلها والى صرفها في غير ما يرضي الله تعالى بسبب ذلك معرضا عن الله وعبداء لادنياه واسيرا لهواه ومعلوم ان من أحب شيئا كان له عبداً والله تعالى لا يرضى

ان تكون لغيره عبداً وفي الحديث الشريف

تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالْذَّرْهَمُ

الحديث والحاصل ان المذموم منها ما أشغل عن الله وقد بعث النبي ﷺ الى جميع اصناف الخلق وفيهم التاجر والمحترف والتارك لها فلم يأمر التاجر بتترك تجارته ولا امر المحترف بتترك حرفته بل دعى الكل الى الله

قال الله تعالى على جهة المدح

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ « نور »

ولم يقل لا يتجرون وقال ﷺ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُخْتَرِفَ وَيُبْغِضُ الْعَبْدَ الْبَطَّالَ

يعنى الذي لاحرفة له يتعيش منها ويصون بها عرضه وعرض عياله وينفق منها في وجوه البر والطاعات ما يدرك به من ثواب الله تعالى وفضله منتهى آماله فالعاقل يسعى في اكتساب الدنيا من حلها لا لمجرد الحرص والمحبة في جمعها بل بقصد أن تكون له مطية للآخرة بعموم نفعها مع صيانة العرض وتوفية الحقوق وحفظ ماء الوجه عن الاحتياج والتعلق للمخلوق وهكذا شأن العارفين بحقائق الأحوال ولقد أحسن من قال

ولو أن ما سعى لادنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما سعى لمجد مؤثر وقد يدرك المجد المؤثر أمثالي

فاكتساب الدنيا من وجوه حلها وصرفها في الامور التي ارشدنا الشرع الشريف لحلها وصف محمود وحبل لأبواب فضل الله موصول بالسعادة محدود وبذلك يسلم الانسان من مضارها واطارها ويسهل سيره في طريق الوصول لمعرفة الله تعالى مستضيئاً بأشراق انوارها وهكذا كان حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم في اكتساب الدنيا وصرفها فقد كانوا يتعاطون الاسباب الدنيوية على وجه المشروع وكانوا في اكتسابها خزاناً لله يتصرفون فيما أنعم الله عليهم به منها تصرف الحازن الامين يوازي بعضهم بعضا وبعين بعضهم بعضا لا يمنعون احداً من اخوانهم معروفهم كما هو شأن الاخوة الصادقة الدينية وقد امتن الله تعالى عليهم بذلك

في قوله تعالى

وَإِذْ كَرُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا « عمران »

فبطريق الصعوبة والاخوة يقع التعاضد والتعاون وتتقوى جنود القلب وتستروح الارواح
بالتشامُ وتتنق في التوجه الى الرفيق الاعلى ويصير مثالها في الشاهد كالاصوات اذا
اجتمعت خرقت الاجرام واذا تفرقت قصرت عن بلوغ المرام
وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال

الْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ

وقال الله تعالى مَخْبِرًا مِّنْ لَّصَدِيقٍ لَّهِ

قَالَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ « شعراء »

والحميم في الاصل المهمم الا انه ابدلت الهاء بالحاء لقرب مخرجها اذ هما من حروف
الخلق والمهم مأخوذ من الاهتمام اي يهتم بامر اخيه فالاهتمام بهم الصديق حقيقة الصداقة
وقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه اذا راى احداكم ودأ من اخيه فليتمسك به فقلما
يعيب ذلك واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام

قال يا داود مالي اراك منتبذاً وحدك

قال الهي قليتُ يعني ابغضت الخلق من اجلك

فاوحى الله تعالى اليه يا داود كن يقظانا مرثداً لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على
مسرتي فلا تصعبه فانه عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي الخبر ان احبكم الى الله الذين
يألفون ويؤلفون وقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لو أن رجلا صام النهار وقام الليل
وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض فيه مانعه ذلك
وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّتْ حُبَّتِي لِلْمُتَحَايِينَ فِي" وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِي"
وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِي" وَالْمُتَعَادِلِينَ فِي"

وقال ﷺ

أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ! قَالُوا وَمَا هُوَ ؟
قال : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِيَّاكُمْ وَالْبُغْضَةُ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ

وقال تعالى

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ « البلد »

وقال الله تعالى

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

فقوله تعالى وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله تعالى وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله والى التكميل بعد الكمال وقد قالوا في قوله تعالى

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ « الروم »

انه يشعر بوجوب نصر المؤمنين والانتقام لهم واظهار كرامتهم حيث جعلوا مستحقين
على الله ان ينصرهم وفي الحديث الشريف

مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ
أَنْ يَدُّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ

ثم تلا قوله تعالى وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (انتهى)

ثم اعلم ان التوؤد والتآلف والموافقة مع الاخوان من المؤمنين من ائتلاف الارواح

التي منشأ نطفها صلب النبوة وحقيقة نطفها نور الله تعالى كما تقدمت الإشارة إليه وفي الحديث الشريف

أَلَمْؤِمْنُ آلفٌ مَّأْلُوفٍ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ

ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم

تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالْسَّهْرِ وَالْحُمَّى

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم

أَلَمْؤِمْنُ لِمُؤْمِنٍ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّقَيَا نَلَ أَلْيَدَيْنِ تَغْسِلُ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَى وَمَا اتَّقَى الْمُؤْمِنَانِ إِلَّا اسْتَفَادَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا

يعني أن هذا شأن المؤمنين وهاته صفاتهم فمن لم يكن كذلك فهو ناقص الإيمان .

وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ رضي الله عنه اني احبك في الله فقال له معاذ رضي الله

عنه ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول

تَنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ كَرَاسِي حَوْلَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ يَفْزَعُ النَّاسَ وَهُمْ لَا يَفْزَعُونَ وَيَخَافُ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ وَهُمْ الْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَقِيلَ مِنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَلْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ

وفي الحديث الشريف عنه ﷺ أنه قال :

ثَلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَبْغِيَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتَقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ

قبل لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة فان العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت المحبة في الله مؤثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تواصلوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك الاغ بالأخ .

واذا تأملت بعين الاعتبار رأيت أركان الشرع كلها مبنية على هذا الاس الفريد ودائرة على هذا المقصد الوحيد فلاجل هذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد من أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الاسبوع مرة من أهل كل بلد وانضمام أهل السواد الى البلدان في الاعياد في جميع السنة مرتين وانضمام أهل الافطار من سائر البلدان في العمر مرة للحج فيجمعهم موقف واحد وهو عرفات كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الالفة والمودة بين المؤمنين وانتفاع بعضهم من بعض واجتماع قلوبهم على المقصد الواحد الذي هو حفظ شعائر الدين والتعاون والتناصر على ذلك بكل ممكن لان هذا الامر هو نتيجة المحبة والاخوة الدينية التي ينتفع بها في الدنيا والآخرة ومالم يكن كذلك كان وبالأعلى على صاحبه والى ذلك الاشارة .

بقوله تعالى

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

يعني أن المتحابين في الدنيا على الأمور الدنيوية بعضهم لبعض عدو يوم القيامة لانقطاع ما بينهم من علائق الحلة والتحاب لظهور كونها اسباباً للعقوبات وانواع العذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت لله وفي الله تبقى على حالها بل تزداد لمشاهدة كل منهم آثار الحلة ونتائج تلك المحبة من الثواب ورفع الدرجات زيادة على ما حصل لهم في الدنيا بسبب ذلك من صلاح الاحوال ونيل الآمال فكل حلة وصداقة تكون في الدنيا مبنية على الهوى والطبيعة الانسانية تكون في الآخرة عداوة يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً .
والاخلاء في الله خلتهم باقية الى الابد وينتفع بعضهم من بعض في الدنيا ويشفع بعضهم في بعض ويتكلم بعضهم في شأن بعض وهم المتقون الذين استثناهم الله تعالى بقوله الامتقون.
وشرائط الحلة في الله

أن يكون أصل المحبة لله طلباً لمرضاته وامثالاً لما امر به وما يعرض بينهم من المصالح والاحوال والاصلاح لا يضر حيث كان عارضا تبعاً بل هو من مقتضيات صدق تلك المحبة وفتائجها ودليل صدق ذلك التعاون والتناصر والتعاقد على ما امر الله به كما سبق تقريره
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنها احب الله وابغض الله ووال الله وعاد الله فانه انما ينال ما عند الله بهذا ولن ينفع احداً كثرة صومه وصلاته وحججه حتى يكون هكذا وقد صار الناس اليوم يحبون ويبغضون الدنيا ولن ينفع ذلك اهل ثم قرأ الآية

أَلَا خِلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

قال بعضهم الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس اماردة بالسوء والاخ لا يأمرك الا بخير
والمواخاة في الله امر مسنون من لدن النبي ﷺ فقد ثبت ان النبي ﷺ آخى بين اصحابه وقال

مَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا

وكانت تلك المواخاة مرتين الاولى بين المهاجرين بعضهم وبعض بمكة قبل الهجرة على الحق والمواصاة ثم لما قدم المدينة مهاجراً آخى بين المهاجرين والانصار على مثل ذلك اظهروا

لما يقتضيه الاتحاد في الدين حتى يكونوا يتوارثون فكان المهاجري يرث الانصاري والانصاري يرث المهاجري تعريفا لهم بقدر تلك الاخوة وبأن العبرة في القرب هو الاصل الحقيقي الذي هو القرابة الروحية والاجتماع على الله وبالله ثم نسخ ذلك بعد وقعة بدر ابقاء ومحافظة على النسل ورفقا بمن يأتي بعدهم ممن لم يبلغ مرتبتهم في قوة الايمان وكشف الحجب لما تقتضيه الطباع البشرية من الميل الطبيعي لقرابة الصلب كما قال تعالى

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ «الآية أنفال»

ولذلك لما كان الانبياء عليهم السلام اكمل الخلق في معرفة الله تعالى وكانت مقاماتهم الرفيعة منزهة عن التعلق بغير الله تعالى ومحفوظة من الالتفات لما سوى الله تعالى بمقتضى العصمة لم يكن من الجائز وجود شيء من العلاقات الدنيوية بهم بل انتعلق بهم انما هو من جهة الله وما يوصل الى معرفته والقرب منه تعالى فنساوى في الاتصال بهم في ذلك قرابة النسب وغيرها ولانما اظهر ذلك للعيان لم يكونوا يورثون في شيء من متاع الدنيا كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم

نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً

المعنى لانورث من جهة الدنيا بالانساب وانما نورث من جهة العلم بالاكنساب ماتركنا من متاع الدنيا صدقة فالانبياء عليهم السلام لم يورثوا ديناراً ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر

نعم تعظيم قرابة ﷺ من النسب وهم آل بيته الشريف الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا واجب شرعا

قال تعالى :

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ «شورى»

فهو من اصول الدين وكال الايمان متوقف عليه فمحبتهم رضي الله تعالى عنهم وتعظيمهم واكرامهم لقربهم منه ﷺ واصلاتهم هي في الحقيقة صلة الرحم الديني فليست قرابته ﷺ من النسب كقرابة غيره لان شرف كل شريف بحسب القرب منه والاتصال به ﷺ كما تقرر في محله



النتيجة وهي الخاتمة

في بيان المقصود من تلك القواعد وما يتوالت على الاجتماع والاتحاد من المنافع وعلى ضد ذلك من المفساد وبيان موضع الاجتماع لتام القوة والانتفاع .

إذا علمت هذا الذي قررناه وفهمت اشاراته واصل مبناه علمت ان الدعوة الدينية لا تتم من غير عصبية من اهل الدين والمراد بالدعوة الدينية الدعوة الى الاجتماع على نصر الدين ومدافعة من يريد اطفاء نوره ومحو رسوم شعائره والاستيلاء على ممالك اهله وتغيير شريعتهم وتبديل طريقهم وازالة ملكهم وعزيتهم وكسر شوكتهم وابادة صولتهم واستعبادهم بجملتهم

فهذه هي الدعوة الدينية التي لا تتم الا باتفاق جميع افراد الملة في جميع الاقطار واتحاد قلوبهم ومقاصدهم على نصره ملتزم وصيانة شريعتهم وسلامتها من الاخطار وهذا الاتفاق الخاص هو المراد بالعصبية وذلك لان الملك والدولة والمراد منه ههنا استبداد اهل الاسلام بامورهم وتمكنهم من اقامة شعائر شريعتهم والتصرف في ممالكهم بدون تسلط عدوهم عليهم وقهره لهم .

انما يحصل ذلك الملك والدولة لهم بالمعنى المتقدم بمقاومة عدو دينهم والتغلب عليه اينما كان المتصدي لازالة ملكهم كيفما كان وذلك التغلب انما يحصل لهم بالعصبية بالمعنى المتقدم ولا تتحقق تلك العصبية الا باتفاق الآراء واتحاد الاهواء على المدافعة والمقاومة والمطالبة وجمع القلوب وتأليفها ومر ذلك ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس والتنازع والتنافر وفشا الخلاف .

واذا انصرف الى الحق ورفض الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت مقاصدها وانفردت وجهتها فذهب التنافس والتنازع وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة وتمت الصولة لجميع افراد الملة ولجميع ملوكها وولاة امورها وصلحت احوال سائر ممالكها فالصبغة الدينية هي التي تذهب بالتنافس والتحاسد والتنافر وتفرّد الوجهة الى الحق

فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه واعدائهم وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتحاذلهم بتفرق اهوائهم حصل

قال الله تعالى :

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ « مائدة »

فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم واعتبر بما وقع للعرب في صدر الاسلام في الفتوحات مع قلة جيوشهم وتكاثر جيوش اعدائهم فقد كانت جيوش المسلمين في القادسية واليرموك لا تريد على بضع وثلاثين الفا في كل معسكر وجيوش اعدائهم اذ ذاك خمسمائة الف وعشرون الفا ومع ذلك لما كانت قلوبهم مجمعة على الحق ومقاصدهم متحدة في الصدق ابادوا تلك الجموع وملكوا الجميع والمجموع الى غير ذلك من الوقائع التي لا يمكن حصرها وهي مبسوطة في محلها من علم التاريخ

واذا كانت عصبية النسب التي اصل قرابتها واخوتها صلب النبوة الفاني توجب الغيرة والمساعدة للنصرة فان القريب يجد في نفسه غضاظة من ظلم قريبه او الاعداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا فتجد القريب يسارع لنصرة قريبه وانقاذه فراراً من الغضاظة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه .

ومن هذا الباب الولاء والخلف اذ غيرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للانفة التي تلحق النفس من اهتمام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء والخلف مثل لحة النسب أو قريباً منها .

فكيف ينبغي ان تكون العصبية الدينية التي اصل قرابتها وأخوتها صلب النبوة الباقي فيجب ان تكون الغيرة عليها اكبر والحمية فيها أقوى وأكثر كيف والمسلمون اسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم والحمد لله من عوج الملكات وبراعتها من ذميم الاخلاق والصفات بمقتضى نور الايمان المودع في قلوبهم فهم بنور الله ينظرون واذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون .

ومن المعلوم ضرورة ان المسلمين اذا لم يجمعوا أمرهم بينهم في ذلك وخالفوا ما أمر الله تعالى بسلكه في ذلك من المسالك وقعوا هاوية المذلة والهوان والعياذ بالله تعالى واضطروا الى الانقياد لاعداء دينهم فصاروا في قبضة أسرهم وتحت قهرهم اذ من المعلوم ان الانقياد والمذلة كاسران لسورة العصبية وشدها فان الانقياد والمذلة دليل على فقدانها فما رثموا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى ان يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة .

فبقاء الدولة واعادة الصولة للملة انما يكون بالعصبية الدينية واجتماع القلوب واتحاد المقاصد وهذا الأمر صار بعيداً عن افهام الجمهور وصاروا متناسين له لانهم نسوا عهد تمهيد دولة الاسلام منذ أوّلها وطال امد مرّ بهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلاً بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة الاسلامية في تأسيس أمرها وانما يدركون اصحاب الدولة التي هم فيها قد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن تلك العصبية في تمهيد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من أوله وما لقي أولهم من المتاعب دونه .

واعتبر بأهل الأندلس وعن هو أقرب عهداً منهم كالممالك الاسلامية بآسيا وغيرها كيف حالهم وآل أمرهم بسبب نسيان هذه العصبية وأثرها لطول الأمد واستغنائهم عن قوتها حتى انمحت رسومهم وصاروا تحت القهر وفي قبضة الامر وعز عليهم الخلاص ولات حين مناص .

ومنى انحدت المقاصد واجتمعت القلوب حصلت السلامة والنصرة لعلله وتم الامر
وكمل المطلوب .

فيا عباد الله هذه آيات الله عليكم تتلى وأحاديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
الذي لا ينطق عن الهوى تقرأ عليكم وتلا (

فهل أنتم مستمعون وإلا فإننا لله وإنا إليه راجعون فلا تموتن إلا
وأنتم مسلمون = وَلَا تَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ . وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ .

بل كونوا من الذين مدحهم الله تعالى بقوله وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ .
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ .

فلعلهم يقول الله تعالى يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ
تَحْزَنُونَ « زخرف »

فتأملوا وفقكم الله تعالى في هذه الاقوال المهداة لكم على وجه النصيحة ، المؤيدة بالآيات
البيّنات والاحاديث الصحيحة ، واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه ، وما تفعلوا من
خير فلن تكفروه .

هذا وقد تقدم فيما قررناه ومهدناه ان الاسلام وان كانت الآن فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة الا انه لابد لتام القوة والشوكة الاسلامية وحصول النتيجة المطلوبة التي هي صيانة الشريعة الشريفة واعادة الصولة لجميع أفراد الأمة المحمدية من رجوع تلك العصبيات كلها الى عصبية واحدة جامعة تستنبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصبح كأنها عصبية واحدة كبرى للقدرة على الوصول الى المقصد العام من المدافعة والمقاومة والمطالبة كما سبق ايضاحه .



كلمة المرأة المحمدية

بمناسبة طبع هذا الكتاب

أخواني المؤمنين

أرجو أن تفتحوا قلوبكم لما أقوله لكم من الكلام المدلل عليه بجملة من الآيات والاحاديث والبراهين .

لا ريب أن الله جل جلاله يطلع على كل ما في القلب من أفكار وما يتفرع عنها من الوسوس ولذا فلا بد للمؤمن من أن يكون متيقظاً لأفكار رأسه وما يوسوس إليه قلبه فلا ينحدر في مهاوي الضلال ولا يستدير سبيل الهداية والرشاد .

« إن الله تعالى لا بد أن يحاسب العبد على كل ما كان قد فعله من خير أو شر » :

« ليكن هدفنا في كل ما نقدم عليه من الأعمال التقرب الى ذات الله تعالى ونيل رضوانه »

« إننا سنلاقي بدون شك جزاء ما نقوم به من أعمال عاجلاً في الدنيا أو آجلاً يوم القيامة »

إن من الواضح أن العالم الاسلامي يتقطع اليوم فرقا واشتاقاتاً ودويلات ضعيفة صغيرة كما لو كان أسرة تشتت أفرادها في أودية الفرقة والبؤس ، ولئن كان ثمة ما يجمعه فهو ليس إلا حزام النفاق والعداوة الشائعة فيما بينه ، فكيف يتسنى ان ينسجم هذا العالم بشكله هذا مع دين التوحيد ؟ .

يا أيها المسلمون : تيقظوا . لننتهز ثغرة بل لنلتحم كما كنا قبل أن تذهب البقية الباقية من كبوائنا ، ويضيع القدر الباقي من قوانا ، وتذهب الفرصة السانحة من أيدينا .

إن عقيدة المسلمين وما غلبه عليهم الحقائق الدينية التي يؤمنون بها - يدعوات المسلمين اليوم الى أن يتحدوا ويتقوا فيما بينهم ، فيما يستطيعون ان يحققوا ما يشدونه من استقلال وسعادة اقتصادية وتبادل في المعونة والمنافع .

لقد استطاعت دولتان في هذا العصر - هما أكبر دولتي هذا العالم - الولايات المتحدة ، والجمهوريات السوفياتية أن يؤلف كل منهما من أشتات و فرق دول صغيرة عالماً كبيراً متماسكاً قوياً ينبع منه كافة مقومات الحياة الدنيوية من استقلال واقتصاد ونعيم . مع ما يشيع في كل من هاتين الدولتين من مظاهر الانحطاط الخلقي الانساني والتخلف نحو الحمجية القديمة وما يشيع فيها من مظاهر العدا والتهديد الذي يتناول العالم كله بنذر السحق والافناء .

أفنعجز نحن المسلمين عن تحقيق وحدة بمثابة فيما بيننا مع ما اكرمنا الله به من مقومات هذه الوحدة من عقيدة وقانون إلهي جامع وفضيلة تؤلف القلوب وخلق يجمع الأشتات ؟ ..
يا أيها المسلمون لله المؤمنون بعقيدة التوحيد : ان وحدتكم التي أدعوكم الى تحقيقها ستنقذ هذا العالم الذي يقف اليوم على شفير الهاوية . ان اتصافكم بالاستقامة والعلم والمحبة والاحترام ، وغيرتكم على الحق والاخلاص والتعاون - سيحققان للعالم بأسره ما يتطلع اليه من سعادة حقيقية تنقذه من شرور هذه المدنية الحديثة .

إن من الضروري جداً أن يستعيد أهل هذه الحقيقة . . حقيقة التوحيد الاسلامي شوكتهم المفقودة وعزم الضائع . ذلك أن البشرية التي تزرح تحت وطأة المادية الخائفة تنن في انتظارها عروة وحدة المسلمين وقوتهم .

إننا نستطيع أن نفخر بأنه لا يزال فيما نحن المسلمين بقية من كبار المفكرين والمجاهدين والعلماء الذين بإمكانهم أن ينهوا المسلمين الى ذاتهم وحقيقتهم ، فلنعترف الى ذاتنا التي انكرناها حقبة طويلة من الدهر ..

وان هؤلاء المفكرين والعلماء الذين يعيشون اليوم بيننا وهم يحملون مشاعل تنير للمسلمين سبيل الوحدة بواسطة انتباههم للعصر الذي يعيشون فيه انما يستطيعون ان يثبتوا أنهم أحفاد لاجدادهم الذين حققوا من قبلهم هذه الوحدة اذا حاروا في سبيلهم وجاهدوا جادهم ، ولا شك أن في علماء الباكستان والهند من قاموا بتحقيق هذه الرسالة بفطرة سليمة .
وتدقيق علمي وتعشق لاقتناص الحقائق .

ولا ريب أن في جميع الدول الإسلامية والعربية كصر والشام والعراق من كبار العلماء من ينتظر دوره للقيام بتحقيق هذا الهدف العظيم .

فلنعد الآن الى ما نحن فيه .

يجب على المسلمين كلهم أينما كانوا أن يأتلفوا ويتحدوا ويتوافدوا في سبيل تحقيق ما أوجبه الله عليهم من الائتلاف والاتحاد وتحقيق أسباب التعاون فيما بينهم . وليس ادعى لتحقيق هذه الغاية ونضجها لدى المسلمين من اجتماعهم على التفقه في دينهم والعمل على التزام ما تركه النبي ﷺ لهم من سنة وآداب .

ولعل من أهم الوسائل لتحقيق هذا الأمر أن يتم أهل كل حي من الاحياء على التقائهم في مساجدهم في اوقات معينة من كل يوم ليتدارسوا فيما بينهم أي أثر نافع من آثار اسلافهم وليتواصوا فيما بينهم أن يقوم كل منهم بواجب نحو نفسه واخوانه المؤمنين في اطار من الالفة والاخلاص .

ولا شك أن من أهم الواجبات وآكدها ، بل آكدها وأهمها ، تحقيق أمر الشورى فيما بينهم . وليست مشروعية كل من الجمعة والحج والجماعة وما شابهها الا اعلانا عن مدى أهمية الشورى في حياة المسلمين .

وان جميع ما ينبع به هذا العصر من علوم ومختوعات مختلفة من شأنه أن يسهل على المسلمين السبيل لتحقيق هذه الشورى على اوسع نطاق جغرافي .

ومعلوم أن الله تعالى قد أنعم على هذه الأمة المرحومة بما لا يحصى من النعم والحيات الكثيرة . فلقد اختصهم بخطابه وكلامه القديم ، وأكرمهم بمعارف حجته ، وأسكنهم في اراض خصبة غنية بما فيها من مختلف المعادن وبما ينبع فيها من البترول الذي هو عصب حياة هذا العصر .

وان هذا الحق الذي يجب أن يحقته المسلمون يدعوننا الى أن نعلم بأن كلاً من الحرمين الشريفين بما فيها من مظاهر العمران انما هو قلب الدولة الاسلامية الواحدة ومن ثم فهما لا ينسبان الى طائفه خاصه من المسلمين وانما يتصلان بنسب وثيق بكل مسلم بحكم كونه جزءاً لا يتجزأ من مجموعه البناء الاسلامي الشامخ الذي قال عنه الرسول ﷺ [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً] .

ولاريب أن من أهم ماتركه الرسول ﷺ من وصاياه لامته الاسلامية ، أن لا يترك المسلمون أنفسهم في عصر من العصور ، (وهم يبلغون مئات الملايين) دون وجود من يمثلهم ويقوم فيهم مقام رسول الله ﷺ في مهمة جمع الشمل وتوحيد الكلمة وشد المسلمين بعضهم الى بعض .

وإذا علمنا أن أبواب جميع الاديان المختلفة الاخرى سواء منها ما كان أصلها سماوياً أم لا قد وضعوا فيها بينهم من يمثلهم تمثيلاً رسمياً في اطار من التنظيم السياسي والدولي . علمنا أن كل من يقف عثرة في سبيل تحقيق هذا الواجب من المسلمين او يراه رجعية وتحلفاً ، ينحط الى ادنى درك في المهجية والحماقة والذل والجن .

ان ضرورة وجود ممثل رسمي عن مجموع ملايين المسلمين إنفا هي من ضرورة وجود الرأس للجسد . واذا كنا نريد ان نبحث عن وجود الاسلام فوق هذه الارض فلنبحث اولاً عن رأسه ابن هو ؟ ..!

أما والله أن رسولنا عليه الصلاة والسلام لم يدع امته هذه او لحق بالرفيق الاعلى وهي فوضى ، ولم يدفن في مثواه قبل أن يقوم من ينوب عنه في تمثيل المسلمين وجمع كلمتهم . هذه مشكلة فالى متى ننتظر حلها ، بل ومن أجل أي عقبة ننتظر ذلك ، بل وأي شيء هذا الذي ننتظره ؟ أما انه ليس لتعقيق هذا الواجب خير من هذا اليوم .

وان جميع المسلمين وبما فيهم من علمائهم ومفكرهم لمسؤولون عن تحقيق هذا الواجب الجسيم . ان أي مسلم لا يسهه انكار ضرورة هذا الحق ، بل ان الشك ليخامر اسلام من يريد أن يشكك في هذا الواجب .

ولتحقيق هذا الواجب ينبغي الالتقاء مع المفكرين والعلماء وذوي الاختصاص من توفر لديهم النية الطيبة والاخلاص ليدوا برأيهم في هذا الصدد . ولاريب أن أولئك الذين يسعون جهدهم لأداء هذا الحق وتطبيقه لا يستحقون الأجر الاخروي فقط بل يسجلون في أشرف صفحات التاريخ ويخلد ذكراهم مع كبار الابطال والفالحين . كما أن أولئك الذين يحاربون هذا الحق لا يستحقون بسبب ذلك عذاب الله وحده بل يسجلون على أنفسهم في الدنيا أيضاً اعظم اهانة لانفسهم ولأمتهم وأجسم خيانة لوصية رسول الله ﷺ .

ذلك أن أي مجلس شورى اسلامي عام من هذا النوع لا يقتصر فيما يأتي به من فائدة على المسلمين وحدهم ، بل انه اكبر عامل من عوامل التوازن لبقاء الامم آمنة من عوادي الحروب والخطوب . اذ ان من شأن هذه المؤسسة الالهية الكبرى ان تجعل العلم سخر للخير وامباب السعادة وان تضمن بقاء الحقوق لأربابها في حصن من الاخلاق والفضيلة . وأن توحد أسباب الصلح بين الاطراف المتخاصمة التي تظل تهدد الدنيا بشرورها وبغياها .

وواضح إن مثل هذه المهمة لا يرجى لأي مؤسسة اتحادية تطبيقها بحق الا اذا كانت هذه المؤسسة . ولفة من دول هذا العالم الاسلامي الذي يحمل هو وحده في ثناياه مبادئ الخير والسعادة نابعة من عقيدة التوحيد والاسلام لدين الله وتشريعه .

ان هؤلاء المسلمون الذين تشيع فيما بينهم بسبب فرقهم وشتمهم الافكار السيئة والانتجاهات الفاسدة ، لابد أن تصلح فيهم هذه المفاسد ويتقوم بينهم كل اعوجاج حينما تتألف منهم دولتهم الكبرى التي تبلغ مئات الملايين ، إذ لاريب أن قوتها واجتماع ذوي الرأي والفكر السديد فيها من شأنه أن يقضي على كل فساد واعوجاج .

ويجملها ترذان بأرقى النظم الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التي تضمن لها بقاء الرفاهية والسعادة .

إن مثل هذه الدولة الكبرى التي تنبض بروح الاسلام لاريب انها ستكون هي المرجع لآلام ومشاكل الدول الاخرى ، وستكون هي وحدها معقد الآمال لاعادة الحقوق المسلوقة الى اهلها وانصاف المظلومين من الظالمين ، بدلا من أن يستنجد الناس كما هو الحال اليوم من ظالم بن هو أظلم منه .

وبناء على ذلك فلا ريب ان اية سعادة أو نظام أو راحة ضمير لا يمكن لاي دولة ان تحمل راية ذلك لتحقيقه تحقيقاً صادقا الا اذا كانت هذه الدولة بمثابة في الامم الاسلامية وحدها ، لاشبهة في هذا ولا ريب .

وليس أنسب في هذا المجال من أن نتذكر كلمات بطل اكبر اباطال وقادة الفتح الاسلامي في عصر رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ، الا وهو سيف الله خالد بن الوليد : تلك الكلمات التي القاها بمتطياً صهوة جواده على سمع اجناده في بصرى (اسكي شام) .

لقد آمننا بأن شرف هذا الدين المحمدي لا يمكن للفكر أن يحدد ثمنه من الروح أو النفس والمال ، ولقد آمننا بأن حماة الامانة الاسلامية وورثة أولئك الاسلاف من صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم ممن باعوا كل غال ونفيس في سبيل حفظ هذه الامانة واجناد محمد بن عبد الله ﷺ الذي أخبر أمته بأن لاتفل ما استمسكت بكتاب الله وهدى نبيه لقد آمننا بأن هؤلاء الورثة ان يبتعد عنهم التوفيق بحال ان اخلصوا النية وقاموا بعزم وصدق من اجل اقامة هذه المؤسسة الموحدة التي تكلؤها راية توحيد الله عز وجل .

ولا ريب أن هذا العصر هو أنسب وقت لتدارك هذا الواجب ، وأن قواعد الاصلاح مهيأة في كل جهة من جهات هذا العالم وأن أولئك الذين أقاموها بدرائتهم وعميق خبرتهم متوفرون في كل بلدة ومكان ، وان فطاحل العلماء والمفكرين لايزالون يقومون قدر استطاعتهم بهذه الوظيفة المقدسة . ان مثل هذه الجهود والقوى الخيرة التي أنعم الله بها على عباده المسلمين لا ريب أنها قادرة على اقامة بنيان المسلمين كما ينبغي أن يقام وعلى حفظ ساحة هذا الدين بما فيه من عقيدة ونظام واخلاق من كيد الكاذبين وعدوانهم .

افني لأقول ان مثل هذه القوى المتوفرة قادرة على إعاده المجد والحياه الصحيحة للمسلمين وحدهم ، بل إن مثل هذه القوى لحري بها ان تهب معنى الحياه الكريمة للعالم أجمع وأن تشعر بمعنى وجوده في هذه الدنيا .

ولأجل تحقيق هذه الغاية يجب على المسلمين أن ينقادوا في طواعة الجند المخلص لقيادة كبارهم وعلمائهم ومفكرهم شاكرين سعيهم مؤيدين لخطواتهم . ذلك أن اليتق من

يخلص الخدمة للانسانية الكبرى في هذا العصر هم هؤلاء القادة المخلصون الذين وعوا عن
عن فهم ودراسة حقيقة النهج الاسلامي وروحه .

اننا ندعو الله تعالى متوسلين باسمائه تعالى وصفاته العظيمة ، وبجيبه المصطفى ﷺ
وصحابه البررة الكرام أن يوفق المسلمين لتحقيق وحدتهم التي أمرهم بها وأن يجد في
جذورها اسباب البقاء والدوام .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك ، ولك الشاء والمنة على جميع ما انعمت
به وتفضلت (ونصلي ونسلم على نبيك محمد ﷺ وعلى آله وصحابه الكرام ، وعلى كل
من تبعه وقام بواجب المسلم في تحقيق واجبات دينه خير قيام وعلى المجاهدين والشهداء
والصالحين الذين سبقونا باحسان .

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين

وكان تمام تحريرها وفتح ابواب تقريرها يوم الاثنين السابع من
شهر ربيع الانور سنة خمس وتسعين ومائتين والالف
من فقير ربه تعالى ابراهيم بن ادريس
السنوسي الفاسي كان الله له
ولواليه وللجميع المسلمين
آمين



صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣	٢٢	في الحال والمآل	في الحال والمآل
٣٤	١٣	عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ	عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ
٣٥	٨	ولم اطلب قليل	ولم اطلب قليلاً
٣٥	١٤	وجه المشروع	الوجه المشروع
٣٦	٢	بالتشام	بالتشام
٣٧	٣	والبغضة	والبغضة
٣٧	٥	وتواصوا بالمرحمة	بالمرحمة
٣٨	٣	المؤمن آكف مألوف ولا خير	المؤمن آكف مألوف ولا خير
		فيمن لا يأكف	فيمن لا يأكف
٣٨	١٠	أحدِهما	إحداهما
٣٨	١٥	لطائفة	لطائفة
٣٨	١٦	الناس	الناس
٤٠	٢٠	بعضهم وبعض	بعضهم مع بعض
٤١	١٣	نحن معاشر الانبياء ماتر كنا	نحن معاشر الانبياء ماتر كنا
		صدقة	صدقة
٤٥	١٠	وقعوا هاوية المذلة	وقعوا في هاوية المذلة
٤٩	١	هما أكبر دولتي	هما أكبر دول



صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	١	ضَعَفُ اليَقِينِ	ضَعْفُ اليَقِينِ
١٧	٢	لَوْ أَشْرَقَ نَوْرُ اليَقِينِ فِي قَلْبِكَ	لَوْ أَشْرَقَ لَكَ نَوْرُ اليَقِينِ
١٧	٦-٧	إِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْبًا نَشَطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهُ أَنَاسًا وَقِيلَ لِسَعِيدٍ فَايْمُهُمْ سَعْدَاءُ	وَإِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْبًا نَشَطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهُ أَنَاسًا وَقِيلَ لِسَعِيدٍ فَايْمُهُمْ سَعْدَاءُ
١٧	١٩	وَقَدْ نَفَاذَهَا	وَقُوَّةُ نَفَاذَهَا
١٩	٤	لَا يَسْخَرُ	لَا يَسْخَرُ
٢٠	٧	وَاسْتِنَادَ الْأَزْدَرَاءِ	وَاسْنَادَ الْأَزْدَرَاءِ
٢١	١	يُحَقِّرُ أَخَاهُ الْمُسْلِمُ	يَحْقِرُ أَخَاهُ الْمُسْلِمُ
٢١	١	كُلُّ الْمُسْلِمِ	كُلُّ الْمُسْلِمِ
٢٢	١٥	آ كَدَ اعْتِبَارًا	آ كَدَ اعْتِبَارِ
٢٤	٧	عَبْدَ الْإِيمَانِ	إِيمَانَ الْعَبْدِ
٢٤	١٨	وَالسَّهَرُ	وَالسَّهَرُ
٢٤	٢١	يَا نُوحَ وَإِنَّهُ	يَا نُوحُ إِنَّهُ
٢٦	٧	يَتَحَقَّقُ الْأَمَلُ	بِتَحَقُّقِ الْأَمَلِ
٢٧	١٦	سَبْعَةٌ يَظْلِمُهُمْ	سَبْعَةٌ يُظْلِمُهُمْ
٢٧	١٦	إِلَّا ظَلَّهُ	إِلَّا ظَلَّهُ
٢٩	١١	لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ كَمْ حَتَّى يُجِبُ	لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ كَمْ حَتَّى يُجِبُ
		لَاخِيهِ مَا يُجِبُ لِنَفْسِهِ	لَاخِيهِ مَا يُجِبُ لِنَفْسِهِ

۱۷۹.

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 080197823

AP